Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نرى هنا نموذجاً مميزاً للجاحظ ـ حماسة تحقق تكثيفاً للصور المتوازية أو المتصاعدة بقوتها، أدوار طويلة تحاكي بأسلوبها كلام «الخلفاء الراشدين» أو الدعاة الخوارج الذي يورده المؤلف في «كتاب البيان والتبيين» كنموذج للأسلوب الخطابي الرفيع. وفوراً بعد هذا الدور الحماسي المختتم ببرهان «فلسفي» معقد يلجأ المؤلف إلى «بطل» رسالته أحمد بن عبد الوهاب بكلمة «عَمَّ» المنتمية إلى أدنى مستويات، الكلام غير المنظوم وإلى كلمات «الشعب البسيط» (العامة) التي لا يمكن ولا بأية حالة من الحالات أن تستخدم في التحادث بين الأدباء. وهكذا نجد أنفسنا أمام تركيبة تكوينية مفرداتية شديدة التعقيد، هي بمثابة تصعيد تدريجي للصور المستخدمة كمترادفات، التي تصل إلى الذروة لتنقطع فجأة عند قمة الحماسة بكلمة لا تتناسب مع الأسلوب، مأخوذة من المفردات «الوضيعة».

إذا قرأنا بتمعن «رسالة التربيع والتدوير» نقتنع أن كل هذه الرسالة الساخرة تتألف من أمثال هذه المقتطفات.